Issn;2602-6163

أسس صناعة المعاجم من منظور عبد الرحمن الحاج صالح

The foundations of the dictionaries industry from the perspective of Abdul Rahman Al Haj Saleh

د. محفوظ ذهبي

جامعة يحي فارس المدية

mahfoudhdeh@gmail.com

ملخص:

حدد عبد الرحمن الحاج صالح ضوابط على أساسها تُبنى المعاجم وتُوضع المصطلحات بعد أن اتضح له أنّ أغلب المعاجم العربية الحديثة لا تستوفي شروط وضعها، وتتمثل تلك الضوابط في: العمل بمنهج علمائنا الأوائل والمتمثل في الاعتماد على التوثيق والانطلاق من مدونة شاملة تضم مجموعة من النصوص المتنوعة التي تمثل حق التمثيل الاستعمال الفعلي للغة، ويضاف إلى ذلك تجنب الاعتماد على المعاجم القديمة وجعلها المستقى الوحيد، وكذا ضرورة إدراج الألفاظ الدالة على المسميات الحديثة.

الكلمات المفتاحية: عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم، صناعة المعاجم.

Abstract :

abd- errahman haj salah set the rules for authoring dictionaries after discovering that modern Arabic dictionaries do not comply with the authoring requirements. These principles are: reference in authorship, relying on a corpus that represents The real use of Arabic language, in addition to avoiding reliance on old dictionaries as well as the inclusion of words that refer to modern names.

Key words: abd- errahman haj salah, dictionary, Dictionaries industry.

مقدمة

إنّ تنوع المعاجم وثرائها لدى أمة من الأمة يعد مؤشرا على رقي لغتها. ومن هنا تنبع أهمية صناعة المعاجم التي أصبحت تعد وسيلة من وسائل الرقي والتقدم، وهو ما دفع بالعديد من الباحثين الغربيين إلى العناية بميدان صناعة المعاجم وجعلوا له أسسا وشروطا يخضع لها واضعو المعاجم. كما وُجد من الباحثين العرب من اهتم بذلك الميدان كما هو الحال عند عبد الرحمن الحاج صالح الذي خصص جزءا من كتاباته للحديث عن صناعة المعاجم.

هذا وقد تلخصت جهود الحاج صالح في ميدان صناعة المعاجم في تحديده للمقاييس التي ينبغي على أساسها أن تُبنى المعاجم وتُوضع المصطلحات، وذلك بعد أن اتضح له أنّ أغلب المعاجم العربية لا تستوفي شروط وضعها فهي دون المستوى المطلوب. وهذا ما سنحاول الكشف عنه من خلال هذه الورقة البحثية.

1. اقتراحات الحاج صالح في ميدان صناعة المعاجم

حاول الحاج صالح توضيح الآليات الصحيحة لبناء المعاجم اللغوية والعلمية، وتحديد الأوصاف العلمية التي ينبغي توفرها في هذه المعاجم، مُنطلقا في الهفوات التي وقع فيها مؤلفو المعاجم العربية الحديثة.

1.1.مواصفات المعاجم العربية الحديثة

إنّ اطلاع الحاج صالح على المعاجم العربية التي ألّفت منذ النهضة إلى غاية منتصف القرن العشرين كشف له أنّ أكثرها يتصف غالبا بصفات سلبية منها:

1.1.1. الاعتماد على المعاجم القديمة

اعتمد مؤلفو المعاجم إلى غاية وقت قريب «على المعاجم القديمة و[استخرجوا] ... منها ما يبدو لهم من الألفاظ التي يحتاج إليها المثقف العربي في عصرنا هذا أو مما قد يرد بكثرة في النصوص القديمة أو الحديثة. وذلك بدون اللجوء إلى أي مقياس علمي إلاّ التحسّس أو الهاجس معتمدين في ذلك عند العلماء المتميّزين منهم على علمهم الغزير ومعرفتهم العميقة للغة العربية وخاصة مفرداتها ومدلولاتها. وهذا لا بد من الاعتراف به» [1]، غير أنّ فات أولئك المؤلفين أنّ المعاجم القديمة لا تمثل

الاستعمال الحالي للغة العربية، فاللغة تتطور، ولكل مرحلة زمانية مفرداتها الخاصة التي يتداولها النّاس. وبهذا فاللغّة «لم تكن يوما ملكا لجماعة أو لعصر، وإنّما هي ملك الأمة العربية على اختلاف أفرادها وتنوّع ثقافاتهم»[2].

وبهذا فإنّ اجتهاد مؤلفي المعاجم الحديثة انحصر في إعادة صياغة المعاجم القديمة في قالب جديد، ولا ندري ما فائدة ذلك، فالمعاجم القديمة تُغني من يحتاجونها عن المعاجم الحديثة. أما غيرهم فهم في حاجة معاجم تضم مفردات تستجيب لمتطلبات العصر ولحاجات المتكلمين للتعبير عن أغراضه، فالمفردات القديمة التي لا موضع لا سبيل لتوظيفها في واقع الاستعمال فلا طائل منها، لأنّ اللغة وضعت للتبليغ والاتصال قبل كل شيء.

من المؤسف حقا أن يجعل بعض مؤلفي المعاجم الحديثة اللغة حبيسة المعاجم القديمة، ولا يجتهدون في إدخال ألفاظ جديدة إلى اللغة تُكسبها طاقة تعبيرية «فكأنّ هؤلاء المؤلفين قد أيقنوا أنّ اللغة العربية غنية بألفاظها التي تداولها الناس منذ القدَم ولا تحتاج إلى أن تمدّ المتكلم بهذا النوع من الألفاظ. لأنّ المفاهيم التي تدل عليها هي من مبتذلات الحياة اليومية، فالعربية أرفع مقاما. وهكذا تصير اللغة التي نريدها نحن نقّالة للعلوم والفنون وشتى أنواع التقنيات ولغة يعبر بها أصحابها عن جميع أغراضهم هكذا قلنا تصير لغة أدبية محضة ولغة تحرير فقط لا لغة تخاطب ومشافهة» [3]. فما تجاهله أولئك المؤلفين هو حتمية تطور اللغة في جانبها الدلالي (المعاني)، فمن الطبيعي أن تحتاج اللغة «إلى قليل من التهذيب لمسايرة الوقت والسياق الذي تعاصره. وعلى معاجمنا –خاصة قل ولا تقل– أن تعلم أنّ اللغة لها حدود ولها حرية لأنّها كائن متطور فأنّى لهم أن يقيّدوها ضمن قل هذا ولا تقل هذا. فالأحرى بها أن تجد التخريجات العلمية لإضافة الرصيد الجديد إلى القديم، وأن تكون المعاجم محاكية للفصيح الحديث»[4].

ومما سبق يتبيّن أنّ «كل ما ظهر لا يزال عالة على المعاجم القديمة في الغالب، من حيث المنهج وطريقة الاستقاء. فما رأينا من يهتم بالاستعمال الحقيقي للغة العربية إلا القليل. فقد اتفق بعض العلماء على عدد من المقاييس يعتمد عليها في اختيار الكلمات على مقياس ذاتي دون الرجوع إلى واقع الاستعمال للعربية الفصحى»[5]. ومن هنا ينبغي لمؤلفي المعاجم «النظر في الكتب القديمة دون إهمال الكتب الحديثة والإبداعات العصرية، وتلك الأساليب العصرية التي تُتداول في الإعلام، ولدى مجمعي القاهرة بالخصوص»[6].

2.1.1. الابتعاد عن الاستعمال الحقيقي للغة الفصحى

إنّ أغلب مؤلفي المعاجم منذ النهضة إلى غاية منتصف القرن العشرين كانوا «لا يرجعون في الغالب إلى الاستعمال الموضوعي للغة العربية في خارج ما تحصل لهم من علم عن هذا الاستعمال كما كان يفعله علماؤنا القدامى الذين دونوا كلام العرب وكما يفعله العالم اللساني في زماننا هذا [كما أنّهم لم يلجاؤوا] ... إلى تدوين واسع لما يستعمل بالفعل الآن باللغة الفصحى أو استعمل قديما أي إلى مدونة كبيرة من النصوص يعتمد عليها الباحث كمرجع موثق شاهد على الاستعمال الحقيقي للغة الفصحى»[7].

أما في زماننا الحاضر فقد «تأخر المعجميون العرب تأخرا كبيرا في العناية باللغة المستعملة بالفعل –القديمة الحديثة– ولم يظهر منهم هذا الاهتمام إلا القليل منهم التفت إلى حدّ ما مؤلفو المعاجم في نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين مثل عائلة البستاني والإسكندر معلوف وغيرهم إلا أنّ ذلك كان قليلا وغير منتظم. وقد سبقهم إلى ذلك مؤلفو المعاجم المزدوجة اللغة العامة لا المتخصصة – وهذا طبيعي– وكان أكثرهم من غير العرب. فمن تلك المعاجم نذكر معجم ليون برشي: leon bercher lexique français – arabe الصادر بالجزائر في 1938 ثم في 1944 ويقول صاحبه أنّه أراد أن يكمل معجم (belot الذي تنقصه الكثير من الألفاظ المولدة المعاصرة). ثم صدر بعد ذلك معجم المستشرق المشهور شارل بيلا L'Arbe vivant (ch .pellat) نشر في باريس في 1952. وأعظم معجم تناول الاستعمال المعاصر للعربية الفصحى هو ما قام بوضعه العالم الألماني هو هانس واهر Hans wehr وعنوان: Arabisches w ? rterbuch fur die schriftsprache der gegenwart (Munster1952) ونقله على الفور إلى الإنجليزية الأمريكي J.Milton Cowan وضم إليه الإضافة وسماه A Dictionnary Modern Written Arabic 1961 , Wiesbaden»[8].

ومن خلال ما سبق يتضح أنّ بعض مؤلفي المعاجم الحديثة أهملوا الاستعمال الحقيقي للغة العربية، وفي هذا السياق يُشير الحاج صالح إلى أنّ العرب في عصرنا قلدوا الغربيين «في كل شيء وفي كل ميدان علمي أو غير علمي ويقتبسون منهم كل شيء –بدون تمحيص غالبا– إلا في ميدان واحد وهو صناعة المعاجم ووضع المصطلحات. فما لاحظناه عند العلماء الغربيين في هذا الميدان هو اعتمادهم المطرد على الاستعمال –ولا يشذ عن ذلك أحد – عند تأليفهم لمعجم عام أو مختص. وذلك

على شكل تدوين لعينة كبيرة لهذا الاستعمال وعلى أساس القواعد المتعارف عليها في تأليف المعاجم. وقد يكون هذا الاستعمال موزعا على أقاليم أو بلدان وغير ذلك من الأماكن وذلك ليمكن الإشارة إلى كثرة الاستعمال أو قلته في كل هذه الأماكن (ويطرد هذا في معجم اللهجات واللغات الإقليمية والعاميات) وقد يهتم المعجمي بتطور المفردة لفظا ومعنى عبر الزمان في مختلف الأقاليم فلا بد أن يعتمد إذن على مدونة تغطي الاستعمال لعدة سنوات بل قرون» [9]. فالاستعمال هو الركيزة الأساسية التي تُبنى عليها المعاجم، وهو ما أدركه الباحثون الغربيون إذ اعتمدوا في نشاطهم الخاص بصناعة المعاجم«على رصد الاستعمال الحقيقي للمصطلحات والرجوع في الأول وفي الأخير إليه هو الأساس عندهم»[10].

فالحاج صالح يعيب على الباحثين العرب هو عدم الاقتداء بمنهج الغربيين في بناء المعاجم، فما أنجزه الغربيون يدعونا لذلك، ويقدّم لنا «مثال "ذخيرة اللغة الفرنسية Trésor de la langue Française" فإنّه يغطي الاستعمال للغة الفرنسية لمدة قرنين وقد دونت المعطيات اللغوية (النصوص الأدبية والعلمية) لما أنتجه الفرنسيون في القرن التاسع عشر والقرن العشرين. وتتبع الباحثون استعمال كل مفردة في جميع سياقاتها في جميع النصوص المدونة، ولجأوا في ذلك إلى الحاسوب. ثم حرر كل عَالِم عددا من المداخل اعتمادا على هذا الذي دوّنوه أولا ثم على الدراسات الدقيقة للسياقات –كل السياقات– لجميع الكلمات. فأصدروا هذه الذخيرة في ستة عشر جزءا كبيرا على شكل معجم (من 1976 إلى 1994) (وهو عام وتاريخي وعلمي). ثم شرعوا في حوسبة المعجم نفسه آليا وأنهوا هذا العمل الكبير العملاق في 1998 ولم يبخلوا فبذلوا الجهود والأموال الهائلة لإنجازه ووفّقوا إلى حدّ بعيد في كل ذلك فهو الآن في متناول أي باحث في أي وقت باللجوء إلى شبكة الانترنيت» [11]. فما قام به الغربيون هو جمع مدونة تمثل الاستعمال الحقيقي، ومن خلالها تمكنوا من رصد سياقات كل مفردة، وهو ما سيسهل عمل الباحثين في صناعتهم للمعاجم. فلم لا يسير الباحثون العرب على منوال الغربيين في جمع مدونة وحوسبتها؟

3.1.1.غياب الألفاظ الدالة على المسميات الحديثة

تظهر في كل عصر مفاهيم جديدة "حضارية" فتُستحدث بالمقابل ألفاظ للتعبير عنها، وهذا النوع من الألفاظ غائب في المعاجم الحديثة؛ أي أنّها تتسم بـــ «خصاصة لغوية فظيعة فيما يخص الألفاظ التي تدل على المسميات المحدثة في عصرنا الحاضر» [12]. فهي «لا تتعرض إلى اللغة

المعاصرة، أي المولد من الألفاظ، إلا قليلا مع أنّ هذا المولد قد يكون وضع على قياس كلام العرب مثل السيارة والطيار والباخرة والقطار وغير ذلك وقد دخل ذلك في الاستعمال وشاع شيوعا واسعا وأخص بالذكر المولد العفوي الذي وضعه أفراد الشعب للضرورة الملحة»[13].

وبهذا فإنّ المعاجم الحديثة لا تتوافق مع حاجات المتكلم التبليغية، فالمتكلم لا يجد في المادة المعجمية ألفاظا يمكن له أن يوظفها في واقع الاستعمال للتعبير عن المفاهيم الجديدة. وننبه ههنا إلى أنّ اللغة العربية لها من الخصائص ما يؤهلها للتعبير عن مختلف الأشياء والمفاهيم، لذا «نحن لا نتهم اللغة في ذاتها إنّما الذي نستضعفه هو كيفية استعمال المربين لها، فالكتب المدرسية هي من وضع هؤلاء. أما كون اللغة العربية لا يوجد فيها ما يكفي للتعبير عن المسميات المبتذلة في البيوت والشوارع والمعامل، فهذا راجع لكسل أهلها وضعف اعتناء منهم لضعفهم في أنفسهم لأنّ اللغة سماع وقياس خلاق يتراءى في كيفية استعمالها ضعف أصحابها»[14].

إنّ التهاون في التعبير عن المسميات الحديثة من قبل بعض مؤلفي المعاجم وواضعي المصطلحات هو سبب ابتعاد العربية الفصحى عن ميدان التخاطب وانزوائها، لأنّ المتكلم إذا أراد التعبير عن شيء مُستحدث يجد نفسه أمام خيارين «فإما أن يستعمل اللفظ العامي أو الأجنبي وإما أن يترك هذا المسمى ولا يدخله في جملة ما» [15]. وبهذا فإن اللغة إذا لم تزود بطاقة تعبيرية جديدة من خلال التعبير عن المفاهيم المستحدثة فإنّها ستبقى جامدة وعاجزة عن مجابهة العامية واللغات الأجنبية.

هذا و بخلاف ما سلف ذكره فإنّ مؤلفي للمعاجم العربية غير المزدوجة أبدوا «شيئا من الاهتمام باللغة المعاصرة ويتراءى ذلك في محاولة أصحاب معجم "المنجد" بإدخال بعض الكلمات المولدة وكذلك الدخيلة منها الشائعة ولابد من الاعتراف لهم بفضل عظيم جدا وهو رجوعهم الدائم إلى التراث للبحث عن اللفظ الفصيح الدال على مسمى قديم قد يسمّى في كل بلد من البلدان بتسمية أخرى غير الفصيحة وذلك كأسماء الحيوانات والنباتات (التمّ والفقه وحمار الزرد وغير ذلك). وصدر في السنوات الأخيرة "المعجم الوسيط" في مصر والمعجم الأساسي نشرته المنظمة العربية والثقافة والعلوم وحاول أصحابهما أن يدخلوا الكثير من الألفاظ ذات المدلول المحدث –وأكثرها من الدخيل العامي الجاري استعماله في لغة التخاطب– مهما كان فهو محاولة طيبة في إدماج المستعمل حديثا في المعجم العامة»[16].

Issn;2602-6163

هذا وقد «عزم أصحاب "المنجد الحديث" على تأليف منجد اللغة المعاصرة بأكمالها. ونشروا في عام 2000: "المنجد في اللغة العربية المعاصرة". يقول أصحابه في مقدمتهم له: "يضم (هذا المعجم) جميع المفردات والعبارات التي يحتاج إليها مثقف القرن الحادي والعشرين حتى المأخوذة من أصل غير عربي". وهي محاولة جدّ إيجابية وسيكون لها أثر عميق في نشر الثقافة المعاصرة بالعربية ومن هذا عدم الاكتفاء في ذلك بلغة أجنبية كما هو الحال في الكثير من المؤسسات التعليمية والعلمية العربية (مع الأسف) في زماننا هذا»[17].

إنّ مثل هذه المحاولات التي يسعى أصحابها إلى إثراء معاجمهم بمفردات تتطلبها الحياة اليومية وتعبِّر عن المسميات الحديثة، تُزود اللغة العربية بطاقة تعبيرية جديدة تُمكنها من الخروج إلى ميدان الحياة والمشافهة اليومية.

2.1.الأوصاف العلمية التي ينبغي توفرها في المعاجم

رغم تعدد المعاجم وكثرتها في الوقت الحاضر إلا أنّ أكثرها لا يستوفي شروط وضع المعاجم، فوضع أي معجم سواء أكان لغوي أم علمي لابد أن يخضع لمجموعة من الأسس والمقاييس، وقد حدد الحاج صالح مجموعة من الأوصاف العلميّة، والتي ينبغي أن تبنى عليها المعاجم عامة، وتتمثل في:

1.2.1.التوثيق

لطالما أكد الحاج صالح على ضرورة التوثيق في كل البحوث مهما كان ميدانها، إذ لابد أن يشير الباحث إلى مصادر معرفته بدقة متناهية سواء أكانت نصوصا أم مقالات أم دراسة ميدانية ... إلخ، فالتوثيق ضرورة ملحة يُكسب الدراسة موضوعية ومصداقية في النتائج المتواصل إليها، وكذلك هو الحال في ميدان صناعة المعاجم، فلا يعقل أن يضم المعجم مادة لغوية مجهولة المصدر، وإلاّ فإنّ معجمه لا يعتد به ولا أساس له من الصحة.

فالتوثيق يعد من بين الأسس العلمية التي لابد منها في صناعة المعاجم، فـــ «لا يتصوّر أن يوضع معجم في اللغة بدون توثيق لما يتضمنه من الألفاظ ودون أن يُعرف من أين استقيت فهل هي ألفاظ وضعتها جماعة من العلماء واقترحها صاحب المعجم أم هي مفردات وردت في الاستعمال

بالفعل؟ وهذا قد حققه علماؤنا قديما وكانوا يوثقون ذلك بأكثر من شاهد. فلماذا نتراجع نحن اليوم عن هذه الميزة العلمية؟»[18].

2.2.1.ضرورة الاعتماد على مدونة

يَعيب الحاج صالح على المعاجم العربية الحديثة افتقادها «لخاصية امتازت بها المعاجم التي ألفها الغربيون للغاتهم ولا سبيل إلى وجودها على الإطلاق في المعاجم العربية حاليا، في علمنا، إلا فيما وضعه بعض الغربيين فيما يخص اللغة العربية ... فهذه الخصلة التي يعتبرها علماء اللغة (علماء المعجميات خاصة) في زماننا شرطا لازما لوضع المعاجم بل الأساس الذي تبنى عليه وهي ضرورة الرجوع في كل ما يدرجونه في معجمهم إلى مجموعة واسعة جدا من النصوص الأدبية والعلمية والعادية ويجعلونها هي المستقى الكلي والوحيد لكل الألفاظ التي تدخل في المعجم. في وثائق نصية يعتمد عليها واضع المعجم اللغوي هي وحدها في تسعين بالمائة من محتواه (وتسمى في اصطلاحهم بالـــ CORPUS وتقابلها لفظة "المدونة" العربية الحالية). فلا يوجد معجم لغوي بلغة أجنبية إلا وله مدونة استقى منها هذا المجموع النصي الوثائقي الواسع»[19].

وبهذا يتبيّن أنّ المدونة تمثل أرضية انطلاق وضع المعاجم، وينبغي أن تكون تلك المدونة شاملة تضم مجموعة من النصوص المتنوعة «تمثّل حقّ الاستعمال الحقيقي للغة. ومنها يمكن أن نستخرج بكيفيّة موضوعية كلّ المعلومات الخاصّة بكلّ كلمة كاتساع استعمالها وتردّدها وتستخلص معانيها من السياقات وذلك بالاعتماد على "ملف اللفظة"، الذي يجعل تحت تصرّف المحررّ للمدخل»[20]. فالقيمة العلمية والمعرفية للمعاجم تنبع من اعتمادها على المدونة واسعة وشاملة.

وما يوجب الاعتماد على مدونة أنّه «لا سبيل إلى معرفة المعاني الحقيقية للمفردات إلا في داخل سياقاتها في الكلام الذي يستعمله المستعملون مشافهة وكتابة ... [فـــ] وصفة المعجم الجوهري هو شمولية ما يحتوي عليه مما هو مستعمل بالفعل أو كان كذلك (بالنسبة لمعجم خاص بفترة قد مضت). وتنوع محتواه يضمن هذه الشمولية» [21]، التي تضمن بدورها تنوع معاني المفردة بتعدد سياقاتها.

وفي مقابل ذلك، المفردة المعزولة «لا حياة لها ... إلا في داخل السياق من الكلام وفي حالة خطاب معينة: يصدر من متكلم ويوجّه إلى مخاطب معيّن أو أكثر ودلالته بهذا الكلام في هذه الحالة تنحصر في عرض معين لا في معاني وضعية يدل عليها لفظها في الوضع فقط. فهذه الحيوية لا توجد

إلا في النصوص أي في الاستعمال ليس غير. وعلى هذا فالتتبع لما تحتوي عليه هذه النصوص الموثوقة لغويا بكيفية منتظمة وشاملة هو العمل الوحيد الذي يضمن الصفة الموضوعية الصّحيحة للعمل المعجمي. وذلك لأنّ البحث اللغوي وتفسير النصوص (كتفسير القرآن) والتحليل العلمي للخطاب السياسي وغيره، يبيّن أن لا معنى إطلاقا لأي كلمة إلا بسياقها، فالألفاظ تكاد تكون كلها مبهمة في ذاتها لاشتراك المعاني في كل واحد منها، فالتصفح لهذه المعاني المختلفة لا يمكن أن يتحقق إلا بالتصفح لكل المواقع التي تقع فيها الكلمة أي في الكثير من سياقاتها»[22].

فمعاني الألفاظ تتحدد من خلال السياقات، وذلك لأنّ أوضاع اللغة كلّها قائمة عل الإبهام، فأي لفظ في أصل وضعه يكون مبهما أي متعدد الدلالة وغير مختص بالدلالة على شيء معيّن، «فاللفظ في الوضع صيغة معينة و تصرف منها إلى صيغ أخرى فرعية. و له حدود في ذلك و في اندماجه في التركيب. أما المعنى الموضوع له فلا يكون إلاّ مبهما كالأجناس و معاني الحروف و المبهمات الأخرى. فهذا حكمها في وضع اللغة»[23]. ومن تلك المعاني الوضعية مثلا: " شجرة، قلم، رجل...إلخ"، وهي معان لا تختص بالدلالة على شيء معين. «أما في الاستعمال أي عند استعمال المتكلم للغة لهذه اللفظة في عملية خطابية معيّنة فليس لها عندئذ إلا واحدا وإلاّ كان كلامه ملبسا و لا يتم بذلك الفهم و الإفهام الذي من أجله وضع الكلام»[24]، ولهذا ينبغي على واضعي المعاجم تتبع معاني اللّفظة من خلال استعمالها في سياقات متعددة، ولن يتأتى لهم ذلك إلاّ بمدونة واسعة وشاملة.

هذا ولابد من التنبيه إلى أنّ هناك بعض المعاجم العربية الحديثة التي اعـــــتمد أصحابها على مـــــدونة، ومـــــن ذلك معـــــجم الذي ألـــــفه «" J.MiltonCowan" و ... سماه:A Dictionnary Modern Written Arabic , 1961 Wiesbaden ... واعتمد صاحبه أيضا على مدونة اشتملت على عدة نصوص مما أنتجه طه حسين ومحمد حسين هيكل وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور وجبران خليل جبران وأمين الريحاني وغيرهم. فهذه المعاجم تخص اللغة العربية المعاصرة وتحتوي على الكثير من مصطلحات الإدارة وألفاظ السياسة وفضلها كبير، ولا تعادلها في ذلك أي محاولة، هو اعتمادها على مرجع علمي لا يمكن ردّه وهو تدوين لما يستعمله الناس بالفعل من العربية الفصحى وإن كان ينقصها شيء –إن كان هناك نقص– فهو في نظرنا عدم التفاتها إلى الاستعمال المنطوق للفصحى (الخطب المسموعة والمحاضرات والموائد المستديرة وكل ما يذاع في الإذاعة وغير ذلك)»[25].

وتجدر الإشارة إلى أنّ الاعتماد على مدونة «كان ... من اهتمامات علمائنا في القرن الماضي ثم اختفى تماما أو يكاد» [26]، فالعلماء العرب الأولون خرجوا إلى البوادي وشافهوا العرب السليقين وقاموا بتحريات ميدانية واسعة مكنتهم من جمع مدونة ضخمة. وبهذا «هم أول من عمل بهذا المبدأ وهذه الطريقة التي سبق ذكرها. فالاستعمال الحقيقي للعربية الفصيحة هو الذي وجّهوا إليه اهتمامهم فزيادة على النص القرآني ومختلف قراءاته المجتمع عليها التي جمعوها، فقد قضوا عشرات السنين في السماع من فصحاء العرب ودونوا كلامهم بعناية فائقة كما هو معروف. ولم يُعر أحد من هؤلاء المؤلفين الأهمية الكافية لفكرة الاعتماد التام على مدونة بالمسح الكامل لها وأن تكون بذلك المرجع الموثوق وذلك بخلاف ما قام به بعض المستشرقين ممن ألفوا معاجم للغة العربية الحديثة بل اكتفوا بنقل ما وجدوه في المعاجم القديمة وحاولوا أن يصلحوا الخلل –كالتعريف المبهم– بالرجوع إلى تعريف دقيق أخذوه من الكتب العلمية مع تصفية واسعة لكل غريب وحشي لم يرد في أي نص معروف» [27].

ومن خلال ما سبق يتبيّن أنّ الاعتماد على مدونة تمثل الاستعمال هو الركيزة الأساسية التي يجب أن تُبنى عليها المعاجم، فهذا هو المبدأ الذي اعتمده علماؤنا الأوائل، فلم لا نسير على منوالهم؟ فالعودة إلى المعاجم القديمة ثم إعادة صياغتها في صورة قريبة من صورتها الأولى لا فائدة منه.

3.2.1. ضرورة الالتزام بمنجهية مضبوطة

يُشير الحاج صالح إلى أنّه يتوجب على واضعي المعاجم «ضرورة الاعتماد على منهجية خاصة في دراسة المفهوم مع اللفظ المقابل له وذلك كاللجوء إلى النوع الراقي من الجزازات الاصطلاحية الذي يجري استعماله الآن في علم المصطلح الحديث » [28]. و المقصود بذلك أن يعمد الباحثون إلى تدوين معلومات كل مصطلح، ثم تخزينها في الحاسوب ليتم لاحقا اعتمادها في بناء المعاجم، وتمثل معلومات كل مصطلح جزازة مصطلحية وهي تمثل بطاقة الهوية للمصطلح.

وبهذا يتبن أنّ الحاج صالح يقترح «أن نضع لكل مصطلح "بطاقة تعريف" أي جزازة خاصة به تكون فيها كل المعلومات التي تخصه. فلا يكفي أن يكون المصطلح –بالنسبة للباحثين في المصطلح وللعلماء في كل فرع من فروع المعرفة– مذكورا بتعريفه في قائمة أو في معجم خاص بل يجب أن يُعرف بأكثر من هذا. وتكون حينئذ قاعدة المعطيات الاصطلاحية جزازية إلكترونية في الحقيقة وذلك مثل TERMIUM» [29].

أما فيما يتعلق بطبيعة المعلومات و«التي لا بد أن تدخل في الجزازة للكشف عن كل كيان اصطلاحي يمكن أن نذكر: ذكر المصطلح بالشكل الكامل مع ما يخصه من أوصاف لغوية مع ذكر مقابله الانكليزي والفرنسي. ثم التعريف له (وهناك أنواع من التعريفات). ولا بد من الاعتماد قبل كل شيء على التعريف اللغوي العادي المبني على ماهية الشيء وصفاته المميزة أي: بالجنس القريب ثم الفصول كما أنّ هناك التعريف الإجرائي وهو الذي يعرف الشيء بدوره في بنية معينة وغير ذلك. ثم يأتي ذكر مرادفاته إن وجدت. ثم يكون مع التعريف بيان الميدان العلمي أو التقني الواسع والميدان الفرعي الدقيق ثم المصادر التي عثر عليها مستعملا فيها مع بعض سياقاته وأكثر المراجع دقة. ثم تأتي الملاحظات الوصفية للاستعمال: تاريخ أول ظهوره إن أمكن وكثرة وروده في الكتاب الواحد واتساع استعماله. وإن عثر في معجم أو قائمة فقط ولم يدخل في الاستعمال فلابد من النص الصريح على ذلك مع ذكر اسم الواضع (وقد تكون مؤسسة) وتاريخ وضعه ومكانه أو إقراره واسم الهيئة المقرة له. وتأتي بعد ذلك أوصاف تخص أصله إن كان دخيلا وكيفية تكييفه (أوعدم تكييفه) وكيفية ذلك: بالمجاز فقط أو بالاشتقاق وغير ذلك، وتأتي في الأخير ملاحظات اللغويين والمجمعيين، أيا كانت، معيارية وغير معيارية»[30].

ومما لاشك فيه أنّ اعتماد هذه المنهجية سيسهل عمل مؤلفي المعاجم، فالجزازة ستضم معلومات شاملة حول كل مصطلح، إذ إنّها تتكون من خانات، وكل خانة يتم ملؤها بمعلومات عن مصطلح ما، ثم تُخزن الجزازات على الحاسوب، مما يسهل عملية استغلالها من قبل واضع المعجم.

الخاتمة

وخلاصة الكلام أنّ للمادة المعجمية أهمية كبيرة تنبثق عن كونها مُستقى لمختلف شرائح المجتمع، فهي مادة يبحث فيها التربويون عن الألفاظ الموضوعة للمسميات الحديثة لإثراء الكتب المدرسية، ويلجأ إليها واضعوا المصطلحات في بحثهم عن مصطلح علمي دقيق لمقابل مصطلح أجنبي، ويستعين بها المتعلم في شرح ما استعصى عليه من ألفاظ، وغير ذلك ممن هم في حاجة للمعاجم اللغوية والعلمية. لذا ينبغي على واضعي المعاجم أن تكون أعمالهم في مستوى أهمية المعجم، مستوفية لشروط وضعه ومبنية على أسس علمية وعلى ما توصلت إليه البحوث في مجال صناعة المعاجم.

Issn;2602-6163

الهوامش والمراجع

[1]– عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع1، السنة الأولى، ربيع الأول، 1426هـ، ماي، 2005م، ص. 13.

2– صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، (2011)، دار هومة، الجزائر ط 6، ص. 140.

[3]– عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، (2007)، المؤسسة للفنون المطبعية الجزائر، د ط، ج1، ص. 161.

[4]–صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، ص. 145.

[5]–عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، ص. 24– 25.

6– صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، ص. 139.

[7]– عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، ص. 13.

[8]– نفسه، ص. 14.

[9]– نفسه، ص. 16.

[10]– عبد الرحمن الحاج صالح، أدوات البحث العلمي في علم المصطلح الحديث، مجلة المجمع الجزائري، ع07، السنة الثالثة، جمادى الثانية، 1429هـ، جوان، 2008م، ص. 10.

[11]– عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، ص. 16 – 17.

12. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص. 180.

[13]– عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، ص. 13.

[14]–عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص. 160.

[15]– نفسه، ص. 161.

[16]– عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، ص. 15.

[17]– نفسه، ص. 15.

[18]– نفسه، ص. 18.

[19]– عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العلمي وشروط وضعه العلمية والتقنية، اللسانيات مجلة في اللسان وتكنولوجياته، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، ع11، 2006م، ص. 21.

[20]– نفسه، ص. 15.

[21]– نفسه، ص. 21.

[22]– نفسه، ص. 22.

23- عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة رغاية، الجزائر، د ط، ص. 111.

24- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ص. 340.

[25]- عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، ص. 14. 15.

[26]- عبد الرحمن الحاج صالح، أدوات البحث العلمي في علم المصطلح الحديث، ص. 12.

[27]- عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العلمي وشروط وضعه العلمية والتقنية، ص. 22.

[28]- عبد الرحمن الحاج صالح، أدوات البحث العلمي في علم المصطلح الحديث، ص. 13.

[29]- نفسه، ص. 22 - 23.

[30]- نفسه، ص. 23.